Araştırma Makalesi/Research Article

الأدب في اللغة العربية

Arap Dilinde Edebiyat

Literature in Arabic Language

Mehmet YAKIŞIK*

الملخص

الأدب مرآةٌ تعكس الواقع، والأدب العربيّ صوّر الحياةَ العربيّة بكلِّ ما فيها من أفراحٍ وأتراحٍ وقيم ومبادئ وغير ذلك؛ لذلك كانَ الأدبُ محجّةَ الباحثينَ؛ إذ تناول كلّ واحدٍ منهم جانبًا من جوانبه مستشهدًا على ما ذهب إليه بأشعار أو أقوالٍ أو خطب، ولا شكّ أنّ الشعرَ العربيّ كان له الحظُّ الأوفرُ من الاهتمام من العرب الأوائلِ، فقد كانَ علمَ العرب الّذي لم يكن لهم علمٌ غيره؛ لذلك دوّنَ فيه العرب كلّ ما كانوا يعيشونهُ ويؤمنون به؛ فسُمّي ديوانَ العرب، إلّا أنّ العرب لم يغفلوا عن النثر، بل برعوا في الخطابة والرسائل، والتقرير، والقصص، وغيرها، لكنّها لم تصل إلى كمال الشعر عندهم.

وهذا البحث يتناولُ تاريخ الأدب منذ العصر الجاهلي إلى العصر الحديث، وخصائص الشعر في كلّ عصرٍ، وأهمّ الشعراء، وأغراض الشعر التي تعاوروا عليها، ومن ثمّ جوهر الأدب وقوانينه، ورسالته الإنسانية والمعرفيّة، وحتّى العاطفيّة، أملًا في شحذ الهمم للإقبال على دراسة الأدب، ودخول بستانه، وشمّ زهوره، والتمتّع بجماله، وقد اعتمد البحثُ على المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد على الاستقراء والتحليل، ولا شكّ أنّ الشعرَ حاز مرّة أخرى مكانة في هذه الدراسة لم يحظَ بها النثرُ كما كانَ عند العرب الأوائل!

الكلمات المفتاحية: الأدب، الشعر، الشعراء، النثر، العصر.

Geliş Tarihi/Received: 26.04.2019 - Kabul Tarihi/Accepted: 29.05.2019

* Dr. Tatvan İlçe Müftülüğü, Tatvan/Bitlis/Türkiye, melemehemed@hotmail.com, ORCID: 0000-0002-7467-0598.

Öz

Edebiyat, olup bitenleri gösteren bir aynadır. Arap edebiyatı, Arapların hayatındaki mutluluk ve acıları, ilke ve değerlerinin yanı sıra (neredeyse) her şeyi şekillendirmiştir. Bundan dolayı edebiyat, araştırmacılar için bir kaynak olmuştur. Zira araştırmacılardan her biri kendi cephesinden; gerek şiir, gerek atasözü, gerekse hitabetlerden aradıkları hüccete ulaşabilmişlerdir. Şüphesiz ilk Arap toplumunda şiirin önemi çok büyüktü. Çünkü şiir, başka ilmi olmayan Arapların tek ilim kaynağıydı. Bundan dolayı Araplar, yaşadıkları ve inandıkları her şeyi şiirle kayıt altına almıştır. Bu nedenle şiirlere Arap divanı denilmiştir. Ancak Araplar nesirden de habersiz değillerdi. Bilakis bu millet, nesri hitabet ve yazışmalarda, raporlarda, hikâyelerde ve daha birçok alanda kullanmışlardır. (Bununla birlikte) Araplardaki nesir gene de şiir seviyesine ulaşmamıştır.

Bu araştırma, edebiyat bahçesine girip onun güllerini koklayıp onun güzelliklerinden yararlanarak gelecekteki edebiyat çalışmalarına önemli bir katkı sunar ümidiyle Arap cahiliyye döneminden modern çağa kadar var olan şiirin özelliklerini ve önemli şairleri; şiirdeki gayeleri ve o dönemdeki edebiyatın özünü ve kurallarını; insani, erdemli ve hatta duygusal mesajlarını içeren edebiyat tarihini kapsamaktadır. Bu çalışma, inceleme ve analize dayalı tanımlayıcı bir yaklaşımı esas almaktadır. Şüphesiz, bu çalışmada da "eski Araplarda'' olduğu gibi nesirden ziyade şiir öne çıkmıştır.

Anahtar Kelimeler: Edebiyat, Şiir, Şair, Nesir, Asr.

Abstract

Arabi literature pictured the Arabic life with all that it has of fortuns or misfortuns, principles and others. There for literature was the harbinger of researchers; each one of them dealt with one aspect of literature exemplifying to what he meant with poetry, sayngs or speachs. No doubt that Arabic literature had the greatest fortune of interest by the first arabs were it was there only science. So they wrote in literature everything about there life and believes. hence it was called the Arabs Diwan. However the Arabs never neglegted prose and they excelled in rhetoric, letters, reporting, stories and others. However prose didn't reach the perfection and position of poetry with Arabs.

This research deals with the history of literature from the pre-Islamic era to the modern era, the characteristics of poetry in each era, and the most important poets, the purposes of poetry which they practiced, and then the essence of literature and its laws, and its humanitarian, cognitive and even emotional message, hoping to sharpen the enthusiasm for the study of literature. His research was based on analytical descriptive methods based on extrapolation and analysis. There is no doubt that poetry has once again gained prominence in this study, which was not enjoyed by prose as it was in the early Arabs.

Keywords: Literature, Poetry, Poets, Prose, Age.

المقدّمة

فاللغةُ العربيّة بحرٌ زاخرٌ في أعماقه الدرر والكنوز، التي تجذب الباحث وتغريه بالغوص في أعماق هذا البحر لاستخراج هذه الكنوز، ولا يخفى على ذي بال أنّ النحو والصرف قد حظيا باهتمام العلماء والطلّاب في بلادنا هذه على حساب الأدب، لذلك توجّه هذا البحث وجهةً أخرى ويمّمَ شطر الأدب يتناولَه بالبحث في تاريخه وعصوره وخصائصه وأغراضه وأهمّ أعلامه في كلّ عصرٍ من عصوره، إضافةً إلى أنّ البحث لم يغفل عن أهمّ مصادر الأدب التي نبعَ منها، وكلّ أولئك أملًا في المساهمة في حركة التعليم وتزويد القارئ بمعلومات شاملة ومختصرةٍ عن الأدب، والتي رسمتُ لها السبيلَ المناسب وفق خطّةٍ بدأتْ بتعريف كلمة الأدب وتأصيلها، ثمّ

درستُ أركان الأدب التي يقوم عليها، ثمّ تناول البحث أنواع الأدب الشعر والنثر، ودرستُ أغراض الشعر الشهيرة التي كانت في العصر الجاهلي واستمرّت إلى العصر الحديث، ثمّ تناول البحث فنون النثر العربيّ: الخطابة، والرسالة، والمقالة، والرواية والقصة، وغيرها...، ثمّ تناولت أقسام تاريخ الأدب في عصوره الستة ومهّدتُ لكلّ عصر بإيجاز مقتضب.

الأدب في اللغة العربية

كلمة الأدب من الكلمات التى تطوّر معناها بتطوّر حياة الأمة العربية وانتقالها من دور البداوة إلى أدوار المدنية والحضارة، وقد اختلفت عليها معانٍ متقاربة حتى أخذت معناها الذي يتبادر إلى أذهاننا اليوم (شوقي ضيف، 1960، 1/7)، وسنتحدّث عن الأدب وتعريفه لغةً واصطلاحًا.

الأدب لغة: الذي يتأدب به الأديب من الناس؛ سمّي أدبًا لأنه يأدب الناس إلى المحامد، وينهاهم عن القبائح. وأصل الأدب الدعوة إلى الطعام والشراب، فمنه قولهم: أدب الرجل إلى الطعام. أي دعاه (ابن منظور، 1414هـ: "أدب".)، واستعمله الزجّاج في اللّه - عزَّ وجلَّ - فقال: والحقّ في هذا ما أدَّب اللّه تعالى به نبيّه صلى الله عَلَيْهِ وَسلم (الزَّبيدي، د.ت. "أدب")،

وأمّا الأدب في الاصطلاح: وإن لم يكن تعريفه عند العلماء موحّدًا لكن المؤكد أنّهم جميعًا يستخدمون كلمة "أدب" استخدامًا متقاربًا حين يطلقونه على شيء يقرؤونه أو يستمعون إليه، فمنهم من قال الأدب: البحث المستمرّ عن الجمال والسعادة في القول والعمل الحسن، ومنهم من قال: إنّه عبارة عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ لفظًا أو كتابة (علي الجرجاني، 1403هـ ص. 15.)، ومنهم من قال: إنّه علم يحترز به عن الخلل في كلام العرب لفظًا أو كتابة؛ أصوله: اللغة، وَالصرْف، والاشتقاق، والنحو، والمعاني، والبيان، والعروض، والقافية، وفروعه: الخط، وقرض الشعر، والإنشاء، والمحاضرات ومنها التواريخ، والبديع والمعاني والبيان، (أبو البقاء، ط. ت.، ص. 68)، موضوعه: الكلام المنظوم والمنثور من حيث فصاحته وبلاغته. وغايته: تهذيب العقل وتزكية الجنان، والتمرس على إجادة الفنون المنظومة والمنثورة على أساليب العرب. وخلاصة القولِ: الأدب هو الكلامُ الفصيحُ المنظومُ أو المنثورُ ذو الألفاظ المنتقاة والعبارة المشرقة المفعمة بالعاطفة المجنّحة خيالًا، يهدي قارئه إلى جمال الأسلوب والتعبير ويوسّعُ من آفاق فكره وخياله.

أركان الأدب

1- **العاطفة**: هي حالة شعورية تندفع من النفس البشرية إثر انفعالها بحدثٍ تراه أو تسمعه، أو بمشهدٍ يؤثر فيها، وهي أهمّ عناصر الأدب، حيث إنّ النصّ الجامد الذي لا يحرك مشاعر القارئ يبعث في نفسه شيئًا من الملل، ويجعله ينسى ما قرأ بعد وقت قصير لأنّه لم يترك أثرًا في نفسه، ولم يحرّك شيئًا في داخله، فتحريك المشاعر في نفس القارئ سواء كانت مشاعر الحزن، أو الفرح أو شيء من الفكاهة، أو حتى الخوف أو القلق ستجعله يتذكّر ما قرأ لمدة أطول، وسيتفاعل مع النصّ بشكل أفضل.

2- **الأفكار:** هي كلّ ما يرد على خاطر الأديب من خواطر أدبية بطريق عفوي أو نتيجة التأمّل والتدبّر. والفكرة هي التي تساعد على بناء هيكل مُحدّد الأركان والزوايا، فلا يمكن أن يكون النصّ عبارةً عن مجموعة من الأفكار المشتتة أو المتناقضة؛ بل يجب أن تكون هناك فكرة واحدة أساسيّة ويمكن أن يتمّ التطرق لأفكار فرعية مرتبطة بها؛ حيث إنّ القارئ يجب أن يعرف تمامًا موضوع النصّ أو فكرته الأساسيّة بعد قراءته، دون أن يجد أيّ نوع من الغموض أو التشويش، فالفكرة هي عصب النصّ ومن دونها لن يكون.

3- **الخيال:** هو قوّة ذات نشاط ذهني توحد بين القلب والعقل، وبين الوعي واللاوعي، وعنصر الخيال يرتبط بعنصر العاطفة بشكل وثيق، فيجب على الكاتب أن يُلهم خيال القارئ وبالتالي يمسّ شعوره وعاطفته، ويجب توظيف الخيال في توضيح المعاني والأفكار، ويجب أن يكون الخيال منطقيًا بحيث يوضّح ولا يطمس ويشوّه تلك المعاني والأفكار، فالخيال إذا اقترب من المستحيل أصبح وهمًا وشتّت أيّة أفكار أرادها الكاتب في النصّ.

4- **الأسلوب:** هو طريقة في التعبير الفنّي، تُكتَبُ به الأجناس الأدبية المختلفة. ويجب أن يكون الأسلوب مُوحّدًا خلال العمل الأدبي الواحد، فهو يدل على الموضوع والفكرة الأساسية، كما يدلّ على الكاتب نفسه، فهو ثابت وواضح المعالم، والأسلوب الركيك والمتغيّر قد يُلقي على النصّ طبقةً ضبابيّة غريبة تفصل الأفكار وتشتّتها، وبالتالي تفكّك النصّ إلى أجزاء لكلّ منها أسلوب مختلف، وإن كانت تتحدث عن الموضوع نفسه أو الفكرة نفسها. ومن أهمّ قوام الأسلوب الصورة الفنّيّة، فهي غرض أسلوبي يحافظ على سلامة النصّ من التشويه، ويقدّم المعنى بتعبير رتيب، فعادة ما تترك الصور الفنية وقعًا قويًّا في النفس على عكس السرد الروتيني. (العتيبي، (2016))؛ (الفاخوري، (1986)، ص. 22-23).

أنواع الأدب

الأدب نوعان شعر ونثر

أوّلًا الشِّعر

الشعر في اللغة: العِلْم، وفي الاصطلاح: كلام مقفًى موزون على سبيل القصد. وهو كلام بليغ مَبنِيّ على الاستعارة، والأوصاف. (علي الجرجاني، (1403هـ)، ص. 127).

النثر لغةً: نثر الشيء، أيْ رماه بيدِه مُتَفَرِّقًا، أو قد نَثَرَ الكلامَ وكذلك الولدَ إذا أَكْثَرَه، (الزَّبيدي، د.ت. "أدب")، واصطلاحًا: هو الكلام الذي لم ينظم في أوزان وقوافٍ، وهو على ضربين: أما الضرب الأول فهو النثر العادي يقال في لغة التخاطب، وليس لهذا الضرب قيمة أدبيّة، إلّا ما يجرى فيه أحيانًا من أمثال وحكم، وأما الضرب الثاني، فهو النثر الذي يرتفع فيه أصحابه إلى لغة فيها فنّ ومهارة وبلاغة، وهذا الضرب هو الذي يعنى النقاد في اللغات المختلفة ببحثه ودرسه. (شوقي ضيف، (د.ت.)، ص. 15).

الفرق بين الشعر والنثر: يُعتبر النثر والشعر عنصران رئيسان ساهما بشكل كبير جدًّا في بناء الأدب العربيّ عبر الزمن، يُعرَّف الشعر بأنّه كلام موزون مُقفّى، والنثر كلام غير موزون، إلّا أنّه مصبوغ بصبغة أدبيّة جميلة، والعرب عرفوا الشعر قبل النثر بزمن طويل.

وأهمّ الفوارق بينهما هي أنّ الشعر يتكلّف صاحبه في النظم، والقافية، أمّا النثر فلا يتكلّف صاحبه غالبًا، والشعر ديوان العرب بينما النثر ليس كذلك، والشعر يتلائم مع الموسيقا، وهو مصدر الغناء والموسيقا، أمّا النثر فلا علاقة له بالغناء والموسيقا، واعتبر أنصار النثر أنّ الشعر فنّ ولهو، ولا يصلح لأغراض الحياة المتعدّدة، ولكن النثر يصلح لجميع مناحي وضروريات الحياة، وأفضل لحياة الناس وأمورهم. (الأهدل، (1397)، ص. 150).

الأغراض الشعرية

الغرض الشعري هو الموضوع الذي يتحدّث عنه الشاعر في قصيدته، والأغراض الشعرية كثيرة ونحن اخترنا بعضًا منها والتي تواجدت منذ العصر الجاهلي إلى العصر الحديث. وهي:

المدح: عرفه العرب منذ العصر الجاهلي، فمنه ما كان يصدر عن عاطفة صادقة، ومنه ما كان بغية التكسّب ونيل العطايا، وعلى كلا الحالين حرص الشاعر أن يمدح ممدوحه بما فيه من صفات. ومع أن الإسلام نهى عن الرياء والتملق، وشدّد على مكارم الأخلاق، إلّا أنّ بعض الشعراء لا يتعفّف عن التكسّب بشعره. ومثال المدح ما قاله العباس بن عبد المطلب - رضي الله عنه - في مدح النبي صلى الله عليه وسلم:

وأَنْتَ لَمَّا وُلِدْتَ أَشرَقَتِ الْ أَرْضُ وَضَاءَت بِنُورِكَ الأُفُقُ

فَنَحْنُ فِي ذَلِكَ الضِّيَاءِ وَفِي النُّو رِ وَسُبْلِ الرَّشَادِ نَخْتَرِقُ. (الدميري، 476/2).

الفخر والحماسة: ارتبط شعر الفخر والحماسة منذ العصر الجاهلي بالحروب والمعارك والعصبيّات القبليّة، ومنه ما كان فرديًا ذاتيًا يفخر فيه الشاعر بنفسه وببطولاته، أو أخلاقه، أو حسبه الشريف، أو موهبته الشعرية، ومنه ما كان غيريًا فرديًا أو جماعيًا، يفخر فيه الشاعر ببطولات وأخلاق فرد بعينه، أو أمة أو جماعة، ومنذ العصر العباسي أصبح لا مكان للفخر الذاتي؛ إذ تحوّل الشاعر إلى الفخر الجماعي والقومي والديني. نموذجًا في الفخر والحماسة، يقول عنترة:

وَلَقَد ذَكَرْتُكِ والرِّمَاحُ نَواهِلٌ مِنّي وبِيضُ الهندِ تَقْطُرُ من دَمي

فَوَدِدْتُ تَقبيلَ السّيُوفِ لأنّها لَمَعَتْ كَبَارِقِ ثَغْرِكِ المُتَبَسِّمِ. (القرشي، ص. 376).

الغزل: كلف العرب بالغزل والنسيب منذ جاهليتهم، فكان ركنًا ركينًا في بناء القصيدة العربية لا ينفكُّ عنها؛ إذ درجوا على افتتاح قصائدهم بالغزل والنسيب، والوقوف على الأطلال وآثار الديار، فتغنّوا بمفاتن المرأة ومحاسنها، وشبّبوا بآلام الحبّ ونار الجوى، واكتووا بلوعة الهجر والفراق، وظمئوا للوصل والاقتراب، وساروا في ذلك بين إفحاشٍ وعفّة. وهذا يعكس مكانة المرأة في نفس الشاعر العربي، هذه المكانة التي شغلت مساحة واسعة في شعره، وحيّزًا من فكره منذ العصر الجاهلي. ومثال الغزل قول قيس بن الملوّح فيقول:

تُباكِرُ أمْ تَرُوحُ غَدًا رَوَاحَا وَلَنْ يَسْتطيعَ مُرْتَهِنٌ بَرَاحَا

سَقِيمٌ لا يُصَابُ لَهُ دَوَاءٌ أصَابَ الحُبُّ مُقْتَلَهُ فَنَاحَا. (أبو علي القالي، (1926)، 162/1).

الوصف: هو غرضٌ أصيل ترجع جذوره إلى العصر الجاهلي، ولا تكاد تخلو قصيدة منه، فقد غلب على شعرهم، وخصّه جُلّ الشعراء الجاهليين كغرض ضمن القصيدة، فوصفوا الطبيعة الحيّة من إبل، وخيل،

وظباء، وبقر وحشي، وغيرها كما وصفوا المحبوبة في غزلياتهم، والممدوح والمرثي، حتّى في الهجاء استعانوا بالوصف، والوصف يمتزج في كل أغراض الشعر التي ألفّها العرب؛ لذا لم يكن هذا الغرض قائمًا بحدّ ذاته منذ العصر الجاهلي إلّا ما ندر. ومثال الوصف قول كُشاجم أبو الفتح محمود بن الحسين الكاتب:

كَأَنَّ النِيلَ حِينَ أَتَى بِمِصْرٍ وَفَاضَ بِهَا وَكسرَت التَرَاعْ

وَأَحْدَقَ بِالْقُرَى مِنْ كُلِّ وَجْهٍ سَمَاوَاتٌ كَوَاكِبُهَا ضِيَاعْ. (زينب عبد الكريم حمزة، (2017)، ص.850).

الهجاء: وهو ضدّ المديح، فيه يسلب الشاعر الصفات الحميدة والفضائل من الشخص المهجو، والعرب احتفوا بالأخلاق، وجرت فطرتهم على التفاخر بها وبالأحساب، والتنافس في ميادين الفضائل، التي تعلي من شأنهم وترفع من ذكر قبائلهم، ولم يكن الشاعر في هجائه يعمد إلى السباب والإفحاش وإن كنّا نجد في أشعار الجاهلية وغيرها منه فهي قصائد قليلة، إذ انصبّ الهمّ في الهجاء غالبًا على سلب الخلق والفضائل والمروءة. ومثال الهجاء قول الفرزدق في قبيلة جرير:

فَيَا عَجَبًا حتى كُلَيْبٌ تَسُبُّنِي كأنّ أباها نَهْشَلٌ أو مُجاشِعُ. (البغدادي، (1997)، 114/9).

الرثاء: هو ضرب من المدح للشخص لكن بعد موته، فإذا كان المدح هو الثناء على الشخص في حياته، فإنّ الرثاء هو الثناء على الشخص بعد موته، وتعديد مآثره، والتعبير عن الفجيعة فيه شعرًا، والرثاء يصدر عن عاطفة صادقة تقطر بمعاني التفجع، والحسرة واللوعة والأسى، بأسف يفيض بحرارة الحزن ومرارته. ومثال الرثاء قصيدة أبي البقاء الرَّنْدِي:

لِكُلِّ شَيءٍ إذا ما تَمّ نُقصانُ فَلا يُغَرَّ بِطيبِ العَيشِ إنسانُ

هِيَ الأُمُورُ كَما شاهَدتُها دُوَلٌ مَن سَرّهُ زَمَن ساءَتهُ أَزمانُ

وَهَذِهِ الدارُ لا تُبقي عَلى أَحَدٍ وَلا يَدُومُ عَلى حالٍ لَها شانُ. (المقري، (1997)، 487/4).

الحنين والشوق: هما عاطفة إنسانية، لا تنبع إلّا من قلب يفيض رقة وإحساسًا، فطر على عشق أليفه من وطن أو أهل أو أحبّة، وهو سمتٌ يدل على تخلّق صاحبه بالوفاء والانتماء وطيب النجار، وكرم الطباع. فلا عجب أن يطرق الشاعر العربي هذا الباب منذ جاهليته، كيف لا ؟!، وهو الذي كابد ويلات الحروب القبليّة، وما أجبرته من تنقل وترحال وبُعد عن الديار ومفارقة للأحبّة والخلان، وعاش حياة الترحال من مكان إلى مكان وراء الكلأ والماء، ثم عانى من ويلات النكبات، وآثار هجمات أعداء الإسلام على البلاد، وترحل طلبًا لعلمٍ أو رزق، وإن لم يكن الشاعر من أهل الغربة، تشوّق وحنّ إلى محبوبة، أو عزيز أو مرتع الصبا وذكريات الشباب. نموذجًا في الحنين والشوق شعر عمر بن أبي ربيعة:

قَدْ هَاجَ قَلْبَكَ بَعْدَ السُلْوَةِ الْوَطَنُ وَالشَّوْقُ يُحْدِثُهُ للنَازِحِ الشَّجَنُ. (النخال، (1434)، 63-192).

ثانيًا فنون النثر

بما أنّ النثر هو كلام غير موزون أو مُقفّى، فتعدّدت أنواعه وفنونه، واختلفت باختلاف الزمان والمكان والاستخدام، ويحتوي النثر الكثير من الفنون، منها ما يأتي:

الخطابة: هي كلام منثور، وقياس مركب من مقدمات مقبولة، أو مظنونة، من شخص معتقد فيه، والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم، كما يفعله الخطباء والوعّاظ. (علي الجرجاني، (1403ه)، ص. 99.)، ولها ثلاثة أجزاء تتكوّن منها الخطبة، هي المُقدّمة، والموضوع، والخاتمة. وأنواع الخطابة: الخطب الدينية، الخطب القضائية، الخطب العسكرية، الخطب الجدلية، الخطب السياسية، الخطب العلمية وغيرها. مثال الخطبة: خطبة حجّة الوداع للنبي صلى الله عليه وسلّم.

الرّواية: وهي أكثر أنواع القصص طولًا، وذلك لأنّها تشتمل على أحداثٍ وتفاصيلَ كثيرة ودقيقة، وكذلك تشتمل على عدد أكبر من الشخصيّات، كما يتمّ استخدامها لمُناقشة قضيّة مُعيّنة، أو مجموعة من القضايا المُترابطة، وتمتاز الرواية بمجموعة من الصفات والمُميّزات، منها تعدُّد الأحداث والشخصيات والأزمنة. أنواع الرواية: الرواية العاطفية، الرواية الاجتماعية، الرواية السياسية، الرواية التاريخية، الرواية الوطنية، الرواية الواقعية وغيرها. مثال الرواية: رواية زينب لمحمّد حسين هيكل.

القصّة: هي فنّ نثريّ مُتميّز ومشهور جدًّا، وعبارة عن أحداث تتناول حادثةً واحدةً، أو عددًا من الوقائع، بحيث تتعلّق هذه الوقائع بشخصيّات إنسانيّة منها وأُخرى غير إنسانيّة. تُقسّم القصّة إلى قسمين حسب أحداثها، هما حقيقيّة واقعيّة، وخياليّة خُرافيّة، وممّا تتميّز به القصّة أنّها تُصوّر مُدّةً زمنيّةً كاملةً من حياة خاصّة؛ فهي تعرض سلسلةً من الأحداث الهامّة والشيّقة وفقًا لترتيب مُعيّن. تتكوّن القصّة من عدّة عناصرَ، هي الاقتباس، والأحداث، والحبكة، والتشويق، والحوار، والخبر، والأسلوب. وتتناول العديد من المواضيع المُختلفة، مثل الفروسيّة، وتاريخ القبيلة، والنصر في المعارك، وقصص من واقع الحياة الاجتماعيّة اليوميّة، والقصص الخرافيّة، والأساطير. مثال القصة: قصّة "كليلة ودمنة" و"ألف ليلة وليلة".

المقالة: وهي فنّ نثريّ وعبارة عن قطعة إنشائيّة طويلة تُكتب نثرًا، تُعالِج موضوعًا مُعيّنًا من وجهة نظر الكاتب، وتتكوّن من ثلاثة عناصر، هي المادة، والأسلوب، والخطّة. تُقسّم المقالة إلى أنواع كثيرة ومُتعدّدة، أنواع المقالة: المقالة الأدبية، المقالة الدينية، المقالة الاجتماعية، المقالة الوصفية، المقالة السياسية، المقالة النقدية، المقالة الفلسفية، المقالة الانطباعية، المقالة العلمية، مقالة الصورة الشخصية، وغيرها. (حسين علي محمد حسين،(1425ه)، ص. 160-208). **مثال** المقالة: مقالة للأديب مصطفى لطفي المنفلوطي من مثل مقالاته في "النظرات والعبرات".

المسرحيّة: هي قصة حوارية تُمثَّل، وتصاحبها مناظر ومؤثرات مختلفة، ولذلك يراعى فيها جانبان: جانب التأليف للنصّ المسرحي، وجانب التمثيل الذي يجسّم المسرحية أمام المشاهدين تجسيمًا حيًّا، وقد نقرأ المسرحية مطبوعة في كتاب دون أن نشاهدها ممثّلة على المسرح فتتحول إلى ما يشبه القصّة، ولكنّها مع ذلك تظلّ محتفظة بمقوماتها الخاصّة. تتكوّن المسرحيّة من أربعة عناصر، هي الحدث، والشخصيّات، والأغراض، والحوار. أنواع المَسرحيّة مُتعددّة ومُختلفة في المضمون والشكل، ومنها الملهاة، والمأساة، والدراما. (حسين علي محمد حسين،(1425ه)، ص. 327).

الأمثال: هي وشْي الكلام، وجَوْهر اللفظِ، وحلْيُ المعاني، والتي تخيَّرتها العرب وقدَّمتها العجم ونطق بها كلُّ زمان، وعلى كلّ لسان، فهي أبقى من الشعر، وأشرفُ من الخطابة، ولم يسِرْ شيء مسيرها، ولا عمّ عُمُومَها حتّى قيل: أسير من مَثَل. وهو مثال عن الأمثال. (ابن عبد ربّه الأندلسي، (1404هـ)، 3/3).

الحِكَم: هي قول مُوجز مشهور رائع التعبير، يهدف عادةً إلى الخير والصواب والرشد في التصرّف، يحتوي على تجربة إنسانيّة كبيرة. من خصائص الحكمة: قوّة اللفظ، ودقّة التشبيه وروعته. ونموذجه: المعرفة كنز لا يفنى.

الوصايا: من أنواع النثر التي عُرِفَت في الجاهليّة، وهي قول حكيم صادر عن خبير يُوجّه إلى من يُحبّ ليستفيد منه، أو من هو أقلّ منه تجربةً. سُمِّيت بالوصيّة لاتّصالها بالميّت، وأجزاء الوصيّة - كالخطابة -؛ العُقدة، والموضوع، والخاتمة. نموذجها: عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنّ رجلًا قال للنبيّ - صلّى الله عليه وسلّم -: أوصني، قال: «لاَ تَغْضَبْ» فردّد مرارًا، قال: «لاَ تَغْضَبْ». (صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، 6116).

الرسالة: هي فنّ من فنون النثر القوليّة، عرفها العرب منذ القدم، وهي مثل فنون النثر الأخرى "كالقصة، والمسرحية، والسيرة الذاتية..." ولها خصائصها المميّزة التي تجعلها فنًّا قائمًا بذاته، وأنواعها: الوصايا، والرسائل الشخصية، والرسائل الرسمية الإدارية. نموذجه: رسائل النبي - صلّى الله عليه وسلّم - إلى الملوك. (حسين علي محمد حسين،(1425هـ)، ص. 133-151).

أهمّيّة الأدب وفائدته

يطرح كثيرون وبخاصّة الطلبة من ذوي التخصّصات العلمية أسئلة غريبة: لماذا ندرس الأدب؟ وماذا تفيدنا دراسته؟ وما فائدة كلّ ذلك؟ ونحن طلاب هندسة وطبّ وفيزياء، ولسنا طلّاب أدب ولغة؟ هذه التساؤلات يمكن الإجابة عنها من خلال بيان أهمّيّة الأدب وفائدته للناس جميعًا سواء أكانوا طلابًا، أم كانوا عمالًا أم فلاحين، فمن خلال قراءتك للقرآن الكريم سترى من النظرة الأولى أنّ كتاب الله العظيم، - كلام الله الجليل - نزل هذا الكتاب العظيم الجليل بصياغة أدبيّة فنّية معجزة، من هذه النظرة الأولى تتبيّن أهمّية الأدب الكبيرة، وكذلك الشأن من قراءتك لسنّة النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - حيث يستبين لك ذلك جليًّا من قول النبيّ - عليه السلام - «إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا» (**البخاري**، (1422هـ) (5767).) هذا البيان الذي يخطف العقل والقلب والجسد لينقاد الإنسان بكلّ ما فيه لِما سُحر به، فالقرآن والسنّة وهما المصدران الأساسيّان للإسلام، وما عنيا بهذا الأدب العناية الفائقة إلّا لما له من أهمّيّة كبيرة، وأنّه ركن أساسيّ من أركان النفس الإنسانيّة، فلا غنى لهذه النفس عن هذا الركن، وإلّا لتداعت وهوت النفس على نفسها كما تتهاوى الدار التي فقدت أحد أركانها على نفسها، وما له من قيمة جمالية عظيمة، فما يزال يبحث عن الجمال، جمال القول والعمل، جمال الروح والجسد، حتى ارتبط الأدب بالجمال ارتباطًا لا انفكاك عنه، يبحث عن الجمال في مخلوقات الله ليصل إلى الله الجميل - جلّ جلاله - وكذلك الحال ما للأدب من علاقة حميميّة ومن ارتباط وطيد بالحبّ، فالأدب غذاء الحبّ، هذا الحبّ الذي تكتوي بنوره وبناره تلك الجوارح، هذا الحبّ إنْ تعلّق صاحبه بالجسد يأخذ بصاحبه إلى أسفل سافلين، وإن تعلّق بالروح يأخذ بصاحبه إلى أعلى علّيّين، والأدب بطبيعة الحال ما هو إلّا تعبير عن

الواقع بأساليب جمالية، تعتمد على اللغة، ونقصد بالواقع: المجتمع بمكوناته المختلفة، وما فيه من حركة وصراع، وما يدور في عقله من تخيلات وأفكار، فلاشكّ أنّ أهمّية الأدب تتّصل بهذه العناصر جميعها؛ فالأدب يزيدنا فهمًا بالمجتمع، ومعرفة لهمومه وتطلّعاته؛ مما يساعد أصحاب القرار على حلّ مشاكله والتخطيط لمستقبله. كما يطلعنا على ما كانت عليه الحضارات والأمم السابقة، وما له من تأثير في استنهاض الشعوب من كبوتها، كما تجسّد هذا التأثير في شعر أبي القاسم الشابّي (ت.1934م) ومنه قوله:

إِذَا الشَّعْبُ يَوْمًا أَرَادَ الْحَيَاة فَلَابُدَّ أَنْ يَسْتَجِيبَ الْقَدَر.(حسين علي الهنداوي،(2014م)، ص.63).

وإنّ من أهمّ أهمّيّة الأدب أنّه لمّا كانت وسيلة الأدب في تحقيق أهدافه هي اللغة، فإنّه يساعد على المحافظة عليها، وعلى ما تحمله من تراث وفكر باعتبار اللغة حاملة تراث الأمّة ومنجزاتها الفكريّة والأدبيّة والعلميّة.

واللغة العربية هي حاملة لكلّ ما أنجزته القريحة العربية والإسلامية منذ عصر التدوين حتّى الآن، كما أنّها عنوان هويّتهم، وبها جاء القرآن الكريم، فجعلها لغة تحمل طابع القداسة. وكذلك تعلّم الأدب يجعل أسلوب الكتابة متينًا لغويًا رفيعًا يستطيع من خلاله النفوذ إلى قلب القارئ، وهنا يأتي الفرق بين شاعر وشاعر أو ناثر ومثله، ولهذا نلحظ أنّ الفقهاء الأدباء أفضل من الفقهاء الجامدين وكذا المفسرين وغيرهم.

كما أنّ الأدب يخفّف من الضغوط ويسعى إلى الانسجام والتوازن في النفس البشرية، فمجتمعاتنا الإنسانية في هذا العصر أحوج إلى الاهتمام بالأدب؛ لنتخلص من هموم التكنولوجيا، وهجمة الصناعة الإعلامية والثقافية، فإذا كان التقدّم العلمي قادرًا على تزويدنا بالوسائل الترفيهيّة، فهو ليس بقادر على منحنا ثقافة الجمال التي تجعلنا نحسّ بإنسانيّتنا، وأخيرًا ما نودّ قوله أنّ الأدب ينمّي العقل ويذكّي العاطفة ويُوقد الخيال ويزيد في سعة الروح ويقوّم اللسان وينشّط الجسد. وبالنتيجة يُسهم الأدب إلى اتّزان الإنسان ويجعل حياته سليمة مستقيمة، كما يجعله في حياة مستمرّة في بحث وحركة دائمة. (حسين علي الهنداوي، 2014م).

أقسام تاريخ الأدب العربي

تمهيد

من خلال قراءة القارئ لدراستنا للأدب سيرى أنّها تناولت الشعر أكثر من النثر، لأسباب متعدّدة من أهمّها أنّ بحثنا قصير لا يحتمل، إضافة إلى أنّ الشعر ديوان العرب جسّد لنا حياة العرب وأنماط معاشهم في العصر الجاهلي وقبل معرفة العرب للتدوين لقرون عديدة، وكذلك الشعر أقرب إلى الأذهان وأكثر ضبطًا وحفظًا لكونه موزونًا مقفًّى وليس ذلك للنثر، وبما أنّ بحثنا مختصر جاءت دراستنا للشعر مختصرة جدًّا وللنثر أكثر اختصارًا. وسندرس تاريخ الأدب العربي بحسب عصوره التي قسّمها الأدباء والنُّقاد، وينقسم تاريخ الأدب العربي إلى ستّة أقسام - على خلاف كبير بين الأدباء في ذلك - نجملها بناء على ما ذهب إليه كثير ممّن كتبوا عن تاريخ الأدب العربي.

أوّلًا العصر الجاهلي

قد يتبادر إلى الأذهان أنّ العصر الجاهلي يشمل كلّ ما سبق الإسلام من حقب وأزمنة من قبل الميلاد وبعده، ولكن من يبحثون في الأدب الجاهلي لا يتّسعون في الزمن به هذا الاتّساع؛ إذ لا يتغلغلون به إلى ما وراء قرن ونصف من البعثة النبوية، أو قرنين، بل يكتفون بهذه الحقبة الزمنية، وهي الحقبة التى تكاملت للغة العربية منذ أوائلها خصائصها، والتي جاءنا عنها الشعر الجاهلي.

والشعر الجاهلي هو الأداة الأكثر أهمّية في تزويدنا للمعلومات عن حياة العرب قبل الإسلام وهو ذو قيمة تراثيّة فنّيّة حافظ على كيانه بما يزيد عن ألف وستمائة سنة، وهذا يدلّ على عراقة هذا الشعر وعن اللغة التي تحمله، وهو زاد العرب وشرابهم، وحلّهم وترحالهم.

أمّا عن النثر فالخلاف فيه طويل ليس هذا محلّه ومجمل القول أنّ ما تواجد من النثر الجاهلي قليل قياسًا على الشعر وهو فنّ الخطابة والحكم والرسائل وغيرها، ومن أشهر خطبائه قس بن ساعدة وأكثم بن صيفي.

وينبغى أن نعرف أنّ كلمة الجاهلية التى أطلقت على هذا العصر ليست مشتقة من الجهل الذى هو ضدّ العلم ونقيضه، إنما هي مشتقة من الجهل بمعنى السفه والغضب والنزق، فهي تقابل كلمة الإسلام التى تدل على الخضوع والطاعة لله - عزّ وجلّ - وما يطوى فيها من سلوك خلقي كريم. وممّا يدلّل على ذلك قوله - تعالى - ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (البقرة 67/2)؛ ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف 199/7) (شوقي ضيف، 1960، 38/1-39).

خصائص الشعر الجاهلي

وأظهر ما عرف عن الأدب الجاهلي هو الشعر، فهو من أهمّ المصادر لدراسة تاريخ العرب ومعرفة حياتها، ومن أهمّ خصائص الشعر الجاهلي ما نراه في مطوّلاتِ القصائد؛ إذ يفتتحها أصحابها غالبًا بوصف الأطلال وبكاء آثار الديار، ثمّ يصفون رحلاتهم في الصحراء وما يركبونه من إبل وخيل، وكثيرًا ما يشبهون الناقة في سرعتها ببعض الحيوانات الوحشية، ويمضون في تصويرها، ثمّ يخرجون إلى الغرض من قصيدتهم. وللقصيدة مهما طالت تقليد ثابت في أوزانها وقوافيها، فهى: تتألف من وحدات موسيقية يسمونها الأبيات وتتّحد جميع الأبيات في وزنها وقافيتها وما تنتهي به من رويّ. (شوقي ضيف، 1960، 184/1).

أهمّ شعراء الجاهلية

أهمّ شعراء العصر الجاهلي أصحاب المعلّقات؛ والمعلّقات قصائد مطوّلة مميّزة كانت تُعلّق على الكعبة، وهي سبع معلّقات أو عشر معلّقات، وسنذكر هؤلاء الشعراء على النحو الآتي:

1- امرؤ القيس (ت. 565م)، ومطلع معلقته:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بِسقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخولِ فَحوْمَلِ

2- طرفة بن العبد البكري (ت. 569م)، ومطلع معلقته:

لِخَوْلَةَ أطْلاَلٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ تَلوُحُ كَبَاقِي الوَشْمِ في ظَاهِرِ اليَدِ

3- زهير بن أبي سُلمى المُزني (ت. 627م)، ومطلع معلقته:

أَمِنْ أُمِّ أَوفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ بِحَوْمَانَةِ الدَّرَّاجِ فَالْمُتَثلَّمِ

4- لبيد بن ربيعة العامري (ت. 661م)، ومطلع معلقته:

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا بِمِنًى تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرِجَامُها

5- عمرو بن كلثوم التغلبي (ت. 584م)، ومطلع معلقته:

ألاَ هُبّي بصَحْنِكِ فاصْبَحِيْنَا ولاتُبْقِي خُمُورَ الأنْدَرِيْنَا

6- عنترة بن شداد العبسي (ت. 608م)، ومطلع معلقته:

هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ أَمْ هَلْ عَرَفْت الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ

7- الحارث بن حِلّزة اليشكري (ت. 580م)، ومطلع معلقته:

آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أسْماءُ رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ. (أبو عبد الله الزوزني، (1425هـ)، ص. 17-207).

الشعراء المخضرمون

أما الشعراء المخضرمون[1]، فلم يفردهم أحد بطبقة واحدة مستقلة، فمن الكتّاب ألحقهم بالجاهليين والبعض الآخر بالإسلاميين، على حسب قربهم من هذه الطبقة أو تلك. وهم الذين أدركوا الجاهلية والاسلام، كلبيد وحسان.

خصائص الشعر المخضرم

للشعر المخضرم ميّزة الشعر الجاهلي وخصائصه من حيث الإيجاز وقوّة التعبير وطريقة النظم والوزن ونظام الشطرين فلا نكاد نجد فرقًا بينهما، إلّا أنّ الشعر المخضرم تأثّر بالقرآن والسّنّة واكتسب لغةً جديدةً تمتاز بالرقّة ووضوح المعاني، إضافةً إلى اكتسابه مفردات وألفاظ جديدة. (بطرس البستاني، 2012 ص. 245).

[1] وأصل الخضرمة أن يجعل الشيء بين بين، فقيل لهذا المعنى لكلّ من أدرك الجاهلية والإسلام: مخضرم؛ لأنّه أدرك الخضرمتين: خضرمة الجاهلية وخضرمة الإسلام. ورجل مخضرم إذا كان نصف عمره في الجاهلية ونصفه في الإسلام. وشاعر مخضرم: أدرك الجاهلية والإسلام مثل لبيد وغيره ممن أدركهما. (ابن منظور، 1414هـ: "أدب").

أهمّ الشعراء المخضرمون

كعب بن زهير بن أبي سُلمى (ت.26هـ)؛ الخنساء تماضر بنت عمرو الشريدي (ت.645م)؛ لبيد بن ربيعة العامري (ت.60هـ)؛ الحُطيئة جرول بن أوس بن مالك العبسي (ت.45هـ)؛ حسّان بن ثابت (ت.35و40هـ)؛ النابغة الجعدي(ت.65هـ).

ثانيًا الأدب في العصر الإسلامي

يُقصدُ بالعصر الإسلاميّ ذلك العصر الذي انطلقتْ فيه دعوةُ الإسلام وامتدّت إلى خارج حدودِ الجزيرة العربيّة، وامتدّ هذا العصر من زمن النبيّ الكريم - صلى الله عليه وسلم - وصولًا إلى العهد الراشديّ الذي كانت فيه الخلافة الإسلامية لأبي بكر الصديق، حتّى علي بن أبي طالب -رضوان الله عليهم - سنة 40 للهجرة -، كما يمتدّ العصر الإسلامي حسب التاريخ إلى العهد الأموي وانتهاء خلافة بني أمية في عام 132 للهجرة، وشهد هذا العصر العديد من الاختلافات والتطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، كما تميّزَ الأدبُ في العصر الإسلامي.

ويتمثّل هذا العصر بعصر صدر الإسلام وعصر بني أمية. وقبل أن نبدأ لا بدّ أن نردّ على كثير من النصوص التي كتبها عرب ومستشرقون؛ إذ زعموا أنّ عصر صدر الإسلام انحسر عن أثر ضئيل في أشعار المخضرمين وهو زعم غير صائب ويجاوز الحقّ، فقد أتمّ الله على هؤلاء الشعراء نعمة الإسلام، فراح هؤلاء الشعراء يستلهمون الإسلام، ويعيشون له وبه، يريدون أن ينشروا نوره في أصقاع الأرض، فصدرت أشعارهم صدور الشذى عن الأزهار الأرجة، وبالمثل صدروا عنه في نثرهم، فإذا هم يستحدثون فنونًا من النثر ينشئونها إنشاء؛ إذ أنشأوا - على هدى القرآن الكريم - آيات بديعة من المواعظ الدينية، كما أنشأوا ضروبًا من المعاهدات والرسائل السياسية والتشريعية.

وأمّا عصر بني أمية، فهو عصر امتزاج العرب بغيرهم من الأمم، وانسياحهم في مشارق الأرض ومغاربها، ممّا أذكى في نفوسهم جذوة الشعر، فإذا هو يحيى في أوطان جديدة حياة خصبة، وقد أخذ الشعراء يخضعون في كلّ مكان لمؤثرات مختلفة: بيئيّة ودينيّة وحضاريّة وثقافيّة واقتصاديّة، وفي هذه الأثناء كان الموالي يتعرّبون، وسرعان ما أتقنوا العربيّة وأعربوا بها عن قلوبهم وعقولهم. ومن أهمّ ما يميّز الشعر الأموي ظهور الشعر العذري "الحبّ العفيف" في بلاد نجد، ويمثّله جميل بثينة، ومجنون ليلى وغيرهم، وما يقابله من الشعر الحسي ورائده عمر بن أبي ربيعة.

أمّا عن النثر والكتابة فقد نمتا في العصر الأموي نموًّا واسعًا، فقد عرف العرب فكرة الكتاب، وأنّه صحف يجمع بعضها إلى بعض في موضوع من الموضوعات، وقد ألّفوا فعلًا كتبًا كثيرة، ويعدّ عبد الحميد الكاتب أول من فتق أكمام البلاغة وسهّل طرقها وفكّ رقاب الشعر. (شوقي ضيف، (1960م)، 6/2).

خصائص الشعر الإسلامي

تختلف معاني الشعر في عصر صدر الإسلام عنها في العصر الجاهلي، ومن أهمّ ما يميّز تلك المعاني ما يلي:

1- تسخير معاني الشعر لخدمة العقيدة الإسلامية وتوسيع دائرة الإسلام.

2- اشتمال الشعر على كثير من معاني القرآن الكريم وأسلوبه والحديث الشريف.

3- الابتعاد عن التخبط، فالمعاني تسير في طريق رسمه القرآن ووضّحه الرسول صلّى الله عليه وسلّم.

4- التعبير عن تقوى الله وعن الورع الذي يملأ قلوب الشعراء.

5- رقّة الألفاظ وسهولتها مع كثرة الجديد فيها. (الأدب العربي وتاريخه، 1437، ص. 88–89).

أهمّ الشعراء في العصر الإسلامي

ذكرنا سابقًا شعراء مخضرمين وهم من شعراء صدر الإسلام، ونضيف إليهم ما يلي:

عبد الله بن رواحة (ت. 629م)؛ عمرو بن معد يكرب الزبيدي (ت. 642م)؛ حميد بن ثور الهلالي (ت. 650؟م)؛ الزبرقان بن بدر(ت. 665م)؛ الطرماح بن عدي بن حاتم الطائي. وأمّا الشعراء في العهد الأموي فمن أهمّهم: جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي (ت. 728م)؛ الفرزدق همّام بن غالب بن صعصعة (ت. 732م)؛ الأخطل أبو مالك التغلبي (ت. 710م)؛ جميل بثينة (ت. 701م)؛ قيس بن الملوح (ت. 688م). (فالح نصيف الحجية الكيلاني، موسوعة شعراء العربية، 3/29–275).

ثالثًا: الأدب في العصر العباسي

قامت الدولة العباسية على أنقاض الدولة الأُموية، عام (132هـ)، وعاشت ما يزيد على خمسة قرون، وانتهت عندما قضى عليها المغول والتتار حين سقطت بغداد عاصمة الخلافة سنة (656هـ). والعصر العباسي كان غنيًّا بالأدباء والشعراء على اختلاف مراحله، وهذا ناشيء عن الحياة الثقافية التي ازدهرت سواء في كثرة المدارس والعلوم والحلقات التدريسية، أو في تعدّد الأساتذة وكثرة المؤلفين وتضاعف النتاج وانتشار الثقافة.

وازدهر الشعر وبلغ أوج عظمته في العصر العباسي، وبخاصّة في النصف الأول منه، فقد كان الخلفاء والوزراء يشجّعون الشعراء ويمنحونهم العطايا والهِبَات، وكان لاختلاط العرب بالأمم الأخرى، ونقل ثقافاتهم إلى العربية دور كبير في دخول أساليب جديدة في الشعر العربي؛ لذلك سنبيّن تاريخ الأدب العربي العباسي الذي انقسم إلى عصرين عند أكثر الباحثين.

العصر العباسي الأول (132- 334هـ): وكان طبيعيًّا أن أبدأ فيه بدراسة الحياة العباسية التى فرضت نفسها على الأدباء العباسيين فرضًا، سواء الحياة السياسية وما كان يجري فيها من نظم، والحياة

الاجتماعيّة وما كان يشيع فيها من تحضر، والحياة العقلية وما التحم بها من ترجمة الثقافات الأجنبية ونشاط الحركة العلمية، ووضع العلوم اللغوية والتاريخ والعلوم الدينية والكلامية.

فازدهر الشعر العربي ازدهارًا رائعًا، إذ أكبّ الشعراء على العربية يتقنونها ويتمثّلون ملكتها وسليقتها تمثلًا دقيقًا، ويجمعون بين أسلوب الجزالة والرصانة حينًا، وبين الرقّة والعذوبة حينًا آخر، وكان تأثرهم عميقًا بالثقافات المترجمة وبمحاورات المعتزلة، مما دفعهم إلى التطور بموضوعات الشعر الموروثة تطورًا ملحوظًا، وأضافوا إليها موضوعات جديدة بما نفذوا إليه من تحليل المعاني والملاءمة بين أشعارهم وبيئاتهم المتحضرة وحياتهم اليومية.

وفتحوا صفحة لم تكن تخطر لأسلافهم على بال، هي صفحة الشعر التعليمي الذي صاغوا فيه من المعارف والتاريخ والأمثال والقصص الحيواني منظومات طريفة، واكتشفوا للشعر أوزانًا لم تكن معروفة وأنماطًا من القوافي كانت مجهولة. (شوقي ضيف، (1960م)، 5/3).

العصر العباسي الثاني (334-656هـ): وقد تناولنا فيه الحياة السياسية وما حدث فيها من تحوّل مقاليد الحكم من أيدي الفرس إلى أيدي الترك، وما كان لهم معرفة بإدارة، ولا بنظم سياسية، ففسدت الأداة الحكومية فسادًا شديدًا، وكانت هناك طبقة تغرق في الترف والنعيم، وكان جمهور الشعب يعيش في الضنك والبؤس، وظلّت الحياة العقلية مزدهرة؛ ممّا هيّأ لظهور فلاسفة عظام وعلماء بارعين في جميع العلوم اللغوية والبلاغية والنقدية والتاريخية والإسلامية والكلامية.

وصوّرنا نشاط الشعر حينئذ وكيف تمثّل الشعراء خصائص العربية ودقائقها الجمالية والموسيقية تمثّلًا تامًّا؟ وكيف أودعوا أشعارهم ذخائر فكرية غزيرة؟ ممّا جعلهم يجدّدون في الموضوعات القديمة والأخرى المستحدثة منذ العصر العباسي الأول، فجاؤوا بصور مختلفة من التجديد، تحفل بما لا يكاد يحصى، أو يستقصى من الأفكار المبتكرة والأخيلة المبتدعة، وظلّوا ينمّون الشعر التعليمي وينظمون فيه التاريخ وغير التاريخ من صنوف المعرفة. (شوقي ضيف، (1960م)، 5/4).

ومجمل القول أنّ الشعر في العصر العباسي: عمومًا ظهر باتجاهين شعريين متباينين: الأول الاتجاه القديم: حيث نهج نَهْج القدماء وسلك طريقتهم في نَظْم الشعر، حيث يقوم الشاعر بنظم قصيدته بلغة وصور مستمدّة من النموذج الجاهلي القديم، محاكيًا إيّاه محاكاة تامّة. ومن أهمّ شعرائه ابن الدُّمَيْنة، وابن ميَّادة، وأبي حيَّة النُّميري، والبحتري، وغيرهم. والثاني الاتجاه الجديد: ظهر الشعراء المجددون (المولّدون) في بداية العصر العباسي بنهج شعري جديد، وثقافة واسِعَة، ورغبة في التعبير عن عصرهم ومشاعرهم، وكانت الحضارة التي يعيشونها، والازدهار العلمي والرقّي الفكري دافعًا لهم إلى البحث عن الجديد في موضوعات الشعر وأسلوبه. ومن أهمّ شعرائه بشار بن برد، وأبو نوّاس، وأبو العتاهية، ومسلم بن الوليد، وأبو تمّام، وغيرهم.

والنثر في هذا العصر عمومًا أصبح متعدّد الفروع، فهناك النثر العلمي والنثر الفلسفي والنثر التاريخي، والنثر الأدبي الخالص، وكان في بعض صوره امتدادًا للقديم؛ وكان في بعضها الآخر مبتكرًا لا عهد للعرب به. (شوقي ضيف، (د.ت.)، ص.125).

خصائص الشعر في العصر العبّاسي

1- **التجديد في موضوعات الشعر**: لم يقتصر شعرهم على الموضوعات الرئيسة والتقليديّة للشعر، بل كانت لهم موضوعات جديدة ومميّزة، كوصف الطبيعة، والبلدان، والعمران، والقصور.

2- **تجديد مقدمات القصائد**: كانت العادة التي جرى عليها الشعر العربي حتّى بداية العصر العباسي، استهلال القصيدة بالمقدمة الطلليّة والمقدّمة الغزليّة، فتغيّر ذلك في العصر العباسي - لا سيما عند المولدين - فبدؤوا أكثر موضوعاتهم بما يتناسب مع حياتهم الحضارية الجديدة.

3- **التجديد في نهج القصيدة**: رقّت الألفاظ وسهلت التراكيب والتحمت القصيدة بعد أن كانت أقسامًا، بل أصبحت بعض القصائد تدور حول موضوع واحد.

4- **تعبير الشعر عن حياة الفرد**: لقد قَرُب الشعر من نفسيّة صاحبه، وأصبح وسيلة للتعبير عما يحسّه ويشغل فكره.

5- **التجديد في الأوزان والقوافي**: لم يقتصر التجديد على الموضوعات فقد طالَ الأوزان والقوافي، فقد أصبح الشعراء يستخدمون أوزانَ خفيفة وقصيرة لنظم قصائدهم، فكان كثير من شعرهم على البحر المضارع الخفيف الذي يتكوّن من تفعيلتين فقط. (ينظر: الجامع في تاريخ الأدب العربي لحنّا الفاخوري؛ والأدب العربي في العصر العبّاسي لناظم رشيد).

أهمّ الشعراء في العصر العباسي

بشّار بن برد (ت. 714م)؛ أبو تمّام حبيب بن أوس الطائي (ت. 845م)؛ أبو عبادة البحتري (ت. 897م)؛ أبو فراس الحمداني (ت. 968م)؛ أبو الطيّب المتنبّي (ت. 965م)؛ أبو العلاء المعرّي (ت. 1057م)؛ أبو نوّاس (ت. 814م)؛ ابن الرومي (ت. 896م)[2]. (فالح نصيف الحجية الكيلاني، موسوعة شعراء العربية، 4/10-532)؛ (ينظر: الجامع في تاريخ الأدب العربي لحنّا الفاخوري؛ والأدب العربي في العصر العبّاسي، لناظم رشيد).

رابعًا الأدب في الأندلس

الأندلس: هو الاسم الذي أطلقه المسلمون على شبه جزيرة أيبيريا عام (711م). بعد أن دخلها المسلمون بقيادة طارق بن زياد وضمّوها للخلافة الأموية واستمرّ وجود المسلمين فيها حتّى سقوط مملكة غرناطة عام (1492م).

امتلك العرب بلاد الأندلس وبسطوا نفوذهم عليها قبل انتهاء القرن الأوّل الهجري بقليل، ثمّ توغّلوا في تلك البلاد ونشروا لغتهم بين سكّانها، واستخدمت الشعر - وهو أبرز مميّزات العربي - في الأغراض التي كانت تستدعيها حياتهم الأولى من حضّ على جهاد، وشوق إلى أهل وحنين إلى وطن. وظلّ الحال كذلك حتّى توطّد ملك الأمويين ونشروا بين الناس المعارف والعلوم، ووهبوا البلاد مدنية وحضارة، وأخذ أفراد الشعب بأطراف ذلك جميعه وانطبعت في نفوسهم صوره، فجاءوا بشعر متأثّر بتلك العلوم والمعارف مساير لهذه الحضارة والمدنيّة.

ولم يلبث أن صار صناعة قوم من المتأدّبين عالجوه، فجرى على ألسنتهم مستمدّين من عربيّتهم جزالة اللفظ وفصاحة القول، ومن جمال الأدب ومحاسن طبيعتها دقّة التصوير وحسن العبارة ولطف النظم وبديع التشبيه وغريب المعاني ونادر الخيال، حتّى نهض الشعر نهضة مباركة، واستوى على سوقه وأتى أكله، وتنوّعت أغراضه ورقّت أساليبه، وصفا معينه وزكا زرعه، وكان خاصّة الناس وعامّتهم في الولع به سواء، وحنّت إليه قلوب النساء فنطقت به ألسنتهنّ، وبرزت فيه طائفة منهنّ عرفت بحسن الإجادة ورقّة التعبير. (عبد العزيز محمّد عيسى، (د.ت.)، ص. 107-110.)

وللشعر الأندلسي أغراض كثيرة ولكن أبرز هذه الأغراض التي تفوّق بها هو الغزل ووصف الطبيعة، أمّا عن الغرل فقد بثّوا فيه من لوعات وجد لحبّ عذْري عفيف ظلّت جذوتها تتّقد وتتوهّج في أشعار الغزليين الأندلسيين قرونًا متوالية، وبلغ من توهّج تلك اللوعات أن امتدّ شررها الساطع إلى الأدبين الإسباني والفرنسي وبالتالي إلى الآداب الأوربية. وأمّا عن وصف الطبيعة فهو مستمدّ من جمال هذا الفردوس بجناته ورياضه وأزهاره ورياحينه وأنهاره فقد تغنّى الشعراء الأندلسيون بجمال هذا الفردوس الأرضي وما يسكب في النفوس من سحر يروّع القلوب والألباب على نحو ما هو معروف عن ابن خفاجة. أمّا على سبيل التجديد في الشعر فقد ابتكروا فنًّا شعريًّا جديدًا هو فنّ الموشّحات. والموشّحات صورة أندلسية حديثة تطورت عن المسمّطات المشرقية المعروفة في الشعر العربي، وهي تتألف من أدوار، وكل دور فيها يختم بشطر تغاير قافيته قوافي الشطور السابقة له في الدور بينما تتّحد مع قوافي جميع الشطور الأخيرة في الأدوار المختلفة (شوقي ضيف، (1960م)، 7/8-8).

وأمّا النثر: فقد تأثّر النثر في الأندلس بالنثر في المشرق العربي؛ ولذلك نلاحظ أنّ أيّ تطوّر في النثر المشرقي أو تجديد فيه لا بدّ أن تنعكس آثاره على أهل الأندلس، فإذا كنّا قد تعرّفنا عند دراستنا للنثر العباسي على طريقة الجاحظ وابن العميد وبديع الزمان، فإنّنا سنجد أصداء ذلك في الأندلس، وقد امتاز كثير من كتّاب الأندلس بجمعهم بين الشعر والنثر مثل ابن زيدون (ت.1285م)، والجمع بين

الفنّين أثره واقع في صبغ النثر بالصبغة الشعريّة، ممّا أعطاه جمالًا ورقّة وحسن اختيار للألفاظ والأساليب.

خصائص الشعر العربي في الأندلس

1- البساطة في التعبير، واستخدام الأخيلة والتصويرات الواضحة.

2- الإيقاع الموسيقيّ الذي نلمسه في الألفاظ والتراكيب.

3- التناغم من خلال تكرار في بعض الحروف في أواخر الأبيات الشعريّة، وهو ما يُسمّى بالروي. رقّة الألفاظ والعناية بها، ممّا جعلها صالحة للغناء.

4- سلاسة وسهولة اللغة والتراكيب. المحسّنات البديعية التي أكثر منها الشعراء ولكن بدون تكلُّف. العاطفة الصادقة الجيّاشة وخاصة في شعر الغزل وإظهار الشوق للمحبوبة.

5- تأثر الشعراء بالطبيعة الخلّابة.

6- وظهر كثير من نظمهم للمقطوعات، خاصّة في شعر الطبيعة. (فالح نصيح الحلجية الكيلاني، موسوعية شعراء العربية، 20/6).

أهمّ الشعراء في الأندلس

حسّانة التيميّة؛ ابن هانيء الأندلسي (ت.973)؛ عائشة القرطبية (ت.400هـ)؛ ابن حزم الأندلسي (ت.1064م)؛ ابن خفاجة (ت.1138م)؛ أبو البقاء الرندي (ت.1285م) ابن زيدون المخزومي (ت.1071م)؛ ولّادة بنت المستكفي (ت.1091م). (فالح نصيح الحلجية الكيلاني، موسوعية شعراء العربية، 6/67-236).

خامسًا الأدب العربي في العصر العثماني

ويبدأ عام (923هـ) بعد انهيار الدولة المملوكيّة على يد العثمانيين، ويستمرّ حتّى الحملة الفرنسية على مصر، واحتلالها من قبل نابليون بونابرت عام (1213هـ)، وقد سمّي العثماني نسبة إلى بني عثمان الأتراك. وبالنسبة للعصر العثماني اختلف فيه الكتّاب والنقاد في تحديد عصر مخصوص به من حيث ارتباطه بالأدب العربي. فمنهم من جعله جزءًا من عصر أشمل يبتدئ من سقوط بغداد (1258م) على يد المغول والتتار إلى التحامه إلى العصر الحديث، فيشمل العصر المملوكي إلى نهاية الدولة العثمانية، ومنهم من عدّه عصرًا قائمًا بذاته ويبدأ عام (923هـ) بعد انهيار الدولة المملوكيّة على يد العثمانيين إلى العصر الحديث المختلف في تحديد بداية عصره.

الأدب عمومًا في هذا العصر يتراوح ما بين القوّة والضعف لأسباب كثيرة أهمّها:

- السلاطين والولاة الداعمين للأدب أو غير داعمين له.

- المتغيّرات الناجمة عن انتقال عاصمة الدولة من القاهرة في قلب البلاد العربية، إلى استانبول البعيدة، مع ضعف وسائط الاتّصال.

- منافسة اللغة التركية للغة العربية في الحياة العامة ومرافقها.

- المتغيّرات الجوهرية في موضوعات الأدب العربي وأساليبه الفنّية وأغراضه واتجاهاته.

- كانت اللغة العربية موضوع اهتمام ورعاية العثمانيين في عهودهم الأولى، في حين تراجعت اللغة العربية منذ تأسيس حزب الاتّحاد والترقّي الذي أخذ على اللغة العربية موقفًا غير حسن.

- وممّا لا حظناه أنّ الأدب عمومًا والشعر خصوصًا بلغ أوجه في العصر العبّاسي الأوّل ثمّ أخذ يتدرّج في القوّة والضعف ولكنّ السمة الغالبة عليه هو الضعف لا سيما في العهد المملوكي التي طغت عليه صفة البديع والصنعة والزخرفة، واستمرّ ذلك في العهد العثماني بين طلوع ونزول، حيث تحوّل الشعر إلى تمويه وصنعة قبل نهاية العصر العثماني في الأغراض والمعاني والأساليب؛ لأنّ الحكومات كانت أعجميّة لا تقيم وزنًا للغة العربية وقد أولع الشعراء بالمحسّنات البديعيّة المتكلّفة، فانحطّت المعاني لديهم وكذلك الأخيلة وأصبح الشعر مؤرّخًا للأحداث، ولم يتعدّ المرح والهجاء والغزل والرثاء والوصف والإخوانيات وتلاعب الشعراء بالشعر فنظموا قصائد ذات حروف مهجئة منقوطة أو خالية من النقط أو أبيات تقرأ من أولها وآخرها مع الاقتباس والتضمين والتخمين والتشطير بحيث لا نجد معنى عميقًا ولا خيارًا مبتكرًا ولا لفظًا جميلًا ولم تتغيّر هذه الحالة إلا بعد (1850م) حيث أعاد الشعراء الشعر لنشاطه وإشراقه. (راتب سكر، ص. 62-69).

خصائص الشعر العربي في العصر العثماني

1- **التقليد:** وقف شعراء العهد العثماني عند أغراض المتقدمين واقتصروا على تقليد السابقين، فأخذوا معاني القدماء وصاغوها صياغة جديدة وسبكوها في قوالب تقليديّة محضة.

2- **التخميس**[3]**:** يعتبر التخميس من الأغراض التقليديّة التي شاعت في العهد العثماني وانتشر بكثرة.

3- **التوشيح**[4]**:** هو فنّ من فنون الشعر تمتدّ جذوره إلى الأندلس وبغداد ودمشق والحجاز، استلهمه شعراء العهد العثماني في وصف الرياض والطبيعة عمومًا والتشبيب والذي أصبح فيما بعد خاصيّة من خصائص الشعر لدى بعض الشعراء.

[3] التخميس: هو أن يستعير الشاعر بيتًا لغيره من الشعراء، ويجعل صدره بعد ثلاثة أبياتٍ يكتبها هو، وتكون ملائمةً للبيت الذي استعاره، فيحصل على بيتين ثم يضع عجز البيت الأساسي بعد البيتين، فيحصل على خمسة أشطرٍ شعرية، ومن هناك جاءت تسمية التخميس أو المخمّس.

[4] التوْشِيحُ: اسم لنوع من الشعر، استحدثه الأندلسيُّون، وله أَسماطٌ وأَغصانٌ وأَعاريضُ مختلفة، وأَكثر ما ينتهي عندهم إلى سبعة أَبيات.

4- **الموضوعات المستحدثة:** إلى جانب الموضوعات التقليديّة التي تناولها شعراء العهد العثماني، هناك موضوعات أخرى تتّخذ لنفسها مسارًا مختلفًا له حدوده وقيوده، مما يجعل المتأمل يصنّفها بالجديدة والمستحدثة، فالشعر- مثلًا - بمفهومه العام دخلت إلى ساحته عناصر نظميّة جديدة، ولم يعد الشكل التقليدي وحده المسيطر على الساحة الشعرية، حيث استطاع بعض المنظّرين للشعر إلى تقسيمه إلى أنواع عدّة، أفردوا الشعر التقليدي باسم خاصّ هو القريض. وهناك كذلك نوعًا آخر يسمّى المواليا الذي قال ابن عمار فيه إنّه من طراز شرقي اخترعه أهل بغداد. ونذكر من الخصائص العامة للشعر في العهد العثماني خصائص لفظية وأسلوبية أبرزها:

خاصيّة السهولة في اللفظ، والسماحة في التركيب ،والبساطة في المعاني، ولعل هذا نتيجة اختلاط الشعراء بالعامة. ومن السمات التكلّف في البديع، فلقد هام شعراء العصر بالزخرف اللفظي حيث طغى على الشعر والنثر معًا، ومردّ ذلك أنّ الشعراء كانوا يرون في هذا المسلك الفني براعة وقدرة منهم على قرض الشعر حيث يعدّونه مظهرًا من مظاهر التفوق الأدبي والإبداعي، ولهذا وجدت معظم أشعارهم مليئة بألوان البيان والبديع من سجع وتورية واقتباس وتضمين. (حورية قايش، (2007-2008)، ص. 32-34).

أهمّ الشعراء في العصر العثماني

أبو البحر الخطي (ت. 1028م)؛ ابن معتوق (ت. 1676م)؛ عامر الأنبوطي (ت. 1173هـ)؛ ابن النقيب (ت. 1368م)؛ الامير منجك باشا (ت. 1669م)؛ ابن زاكور(ت. 1708م)؛ بنت الشحنة (ت. 1531م)؛ يوسف البديعي (ت. 1662م)؛ عبد الغني النابلسي(ت. 1731م)؛ بدر الدين الغزي (ت. 1577م).

سادسًا الأدب في العصر الحديث

حالة اللغة العربية وآدابها في هذا العصر كانت حالة البلاد العربية في أوائل القرن الثالث عشر غاية ما وصلت إليه من الفساد والاضمحلال، فلمّا استولى محمد علي باشا على مصر رأى بحكمته أن يربّي من يكون خير واسطة لنقل معارف الأوروبيّين إليها. فبعث إلى أوروبا ثلاثة بعوث علميّة في أزمنة مختلفة كوّنت بعد ذلك ثلاث طبقات من العلماء: الأطبّاء، والمهندسين، والضباط. فنقلوا إلى اللغة العربية عشرات الكتب الجليلة في العلوم المختلفة فأحدث ذلك في اللغة العربية انقلابًا عظيمًا، واكتسبت من سعة الأغراض والمعاني والألفاظ العلمية والأساليب الأجنبية وطرق البرهنة والاستنباط وترتيب الفكر ثروة طائلة، ورأى العلماء والأدباء أنّه صارت لهم دولة منظّمة متحضّرة نتيجة كدّهم وثمرة أفكارهم فالتفّوا حولها وصار للدولة كُتّاب وشعراء ومنشئون في جريدتها "الوقائع" أول جريدة عربية، (أحمد بن إبراهيم الهاشمي، (د.ت.)، 217/2).

فازدهر الأدب في العصر الحديث لعاملين الأوّل: هو الاتّصال بالتراث العربي القديم: رأى المفكّرون والمصلّحون ضرورة الاتّصال بالأدب العربي في عصوره الزاهرة للانتفاع بما فيه من كنوز أدبية وفكرية، وقد ساعد على هذا الاتّصال انتشار المطابع والمكتبات، وظهور المجامع اللغوية، وكان أثر الاتّصال بتراث الماضي واضحًا في الأدب، فقد تحرّر من الضعف، واتّجه إلى الاهتمام بالأفكار وجمال الصياغة وفخامة التعبير، وحرص الأدباء على سلامة اللغة واهتمّوا بعرض القضايا العربية والإسلامية.

والثاني: هو الاتّصال بالحضارة الغربية الحديثة: وقد تمّ ذلك الاتّصال عن طريق البحوث العلمية والترجمة والمستشرقين وإتقان بعض المثقّفين العرب للّغات الأجنبية واطّلاعهم على آدابها. وكان لهذه العوامل أثر كبير في الأدب العربي الحديث.

أمّا الشعر: فقد كان يسير في تطوّره كسائر الفنون الأدبية، ثمّ استجاب لحركة التشديد على النحو التالي:

- قلّل الشعراء بعض الأغراض القديمة كالهجاء والفخر الفردي، واتّجهت بعض الأغراض اتّجاهًا جديدًا كالمدح والفخر والرثاء والهجاء، وغالبها أغراض جماعية، وظهرت أغراض جديدة كالشعر السياسي والاجتماعي.
- ظهرت فنون جديدة غير الشعر الغنائي كالشعر المسرحي وشعر الملاحم.
- تعدّدت المدارس الشعرية (مدرسة الإحياء - المدرسة الرومانسية - المدرسة الجديدة). (حسن خميس المليجي، (د.ت.)، ص. 234– 235).

وأمّا النثر فقد ازدهر لعوامل كثيرة منها: العناية بدراسة اللغة العربية وآدابها في الأزهر والمدارس والمعاهد والجامعات، وإحياء مصادر الأدب العربي القديم وطبع أحسن مؤلفات الأدباء المعاصرين، وظهور المجلات الأدبية، وعناية الصحف اليومية بالأدب، وإنشاء دار الكتب، وكثرة ما ترجم من آداب الغرب إلى العربية، وتعدّد الثورات الشعبية، التي احتاجت للخطابة، وقيام الصحف ممّا دعا إلى نهضة الكتابة. (محمّد عبد المنعم خفاجي، (1992)، 303/2).

خصائص الشعر العربي في العصر الحديث

1- عدم الالتزام بالقافية، والخروج عن الشَّكل المُعتاد عليه في بناء القصيدة.

2- تمتاز القصائد الحديثة بلغتها البسيطة والواضحة، مع اشتمالها على عدد قليل من المصطلحات الصعبة.

3- إكثار الشاعر من توظيف الأنواع البلاغيّة بما يخدم محتوى القصيدة، دون الالتفاف إلى النواحي التجميليّة بشكل مبالغ به، وأغلب الأنواع البلاغيّة المستخدمة في القصائد الحديثة بسيطة ومفهومة.

4- الابتعاد عن الفخر والمدح الشخصي، مع ظهور الشعور الوطنيّ والشعبيّ.

5- استخدام الخيال بشكل واسع.

6- شيوع الرمزيّة بعد أن خلا الشعر القديم منها، بالإضافة إلى انتشار السرياليّة[5] التي تعتبر أكثر غموضًا وتعقيدًا من الرمزيّة.

7- استخدام اللغة العاميّة، وأول من بدأ ذلك الشاعران حسين شفيق وبيرم التونسي.

8- ذكر الزوجة في القصائد الحديثة وانفرادها بالحبّ والغزل.

9- بروز عدد كبير من الشاعرات، وانتشار الملاحم الشعريّة، وتطوّر الشعر الاجتماعي.

10- نضوج شخصيات الشعراء، وانصرافهم عن الغناء والهجاء، وتركيزهم على الشعر الهادف الموجّه للجموع. (إسلام الزبون، (2017).

أهمّ الشعراء في العصر الحديث

مصطفى إبراهيم الطرابلسي (ت. 1917م)؛ **أحمد شوقي** (ت. 1932م)؛ بدر شاكر السياب (ت. 1964م)؛ إبراهيم طوقان (ت. 1941م)؛ أبو القاسم الشابّي (ت. 1934م)؛ حافظ إبراهيم (ت. 1932م)؛ عمر أبو ريشة (ت. 1990م)؛ سميح القاسم (ت. 2014م). (فالح نصيف الحجية الكيلاني، موسوعة شعراء العربية، 29/9-557).

من طبائع الأدب

هذا موضوع خاصّ بنا ولم نرجع به إلى المصادر والمراجع، استخلصناه واستنتجناه من خلال دراستنا وبحثنا في الأدب:

ومن أهمّ طبائعه الثورة والتمرّد على معظم الأشياء، تراه كعاصفة تضرب الأرض وما بها وتضرب كبد السماء ترعد وتُبرق وتَشتَدّ رياحها فتغزر مطرًا تجري به الحياة فتعود الأرض مخضّرة مبتهجة، فتبتسم ضاحكة، وتلد زرعًا وزهرًا وأشجارًا.

ومن طبائعه أنّه يعنى بالجمال وبالصورة الأدبيّة، مكتملة بكل أدواتها وأجزائها، فيُظهر الصورة جميلة متناغمة تنطق عن الواقع كأنّه هو، ومن أهمّ عناصر الصورة الأدبيّة الأجزاء الثابتة والثابتة المتغيّرة المتلوّنة.

ومن أهمّ طبائعه البحث: البحث الدؤوب المستمرّ الذي لا ينقطع، فهو في حركة دائمة مستوية وملتوية تبحث عن الحياة وأسرار الحياة، فالأدب يرى أنّ الحياة في حركة مستمرّة هادئة وصاخبة، وأنّ هذه

[5] السرياليّة: ظهرت كمدرسة أدبيّة في العقد الثالث من القرن العشرين في فرنسا.

الحركة لا تنتهي، فهو في بحثه لا يبحث عن الحقيقة المطلقة ومعرفة جوهرها فهذا محال، ومن هذه الحقيقة المطلقة ما زال البحث مستمرًا لا ينتهي، وبحثه عن الحقيقة التي تنتظم مع الإنسان وتتوافق مع غاية وجوده، فالأدب يرى أنّنا لا نعرف الحقيقة - وما زلنا نبحث عنها بلا توقّف - ولا نعيش في الحقيقة بل نعيش في ظلّها وذلك من رحمة الله بنا.

ومن طبائعه العذبة الفرح والأمل، والحزن والغربة، فما زال الأدب فرحًا مليئًا بالأمل وهو يبحث عن الحقيقة المطلقة الجمال المطلق الحياة الرغيدة المطلقة، في ظلّ هذه الحقيقة المطلقة وهي الله، ولا سعادة إلّا بالنظر إلى وجهه الكريم وإلى رضوانه المطلق. أمّا عن حزن وغربة الأدب، فيرى أنّ هذه الحياة ناقصة وكلّ ما فيها ناقص لا يروي ظمأ العليل، وأنّها حياة مكدّرة ومنغصّة فانية، فليس لها قرار، فرحتها ناقصة وجمالها ناقص، فعاد الأدب إلى نفسه حزينًا غريبًا منطويًا على نفسه في هذه الحياة.

ومن طبائعه الغريبة توافق المتناقضات، وأنّه يجوز له ما لا يجوز لغيره، وكثيرًا ما يأتي الأدب بمعاني لا يمكن فهمها؛ لذلك قالوا: المعنى في قلب الشاعر. وهناك أمور يأتي بها الأدب على لسان الأديب لا يمكن للأديب هو أن يفهمها أو يقيم الدليل عليها، فأشبه بالدليل الأصولي، دليل يَقْدح في الفكر لا يمكن تعليله. فالأدب يرى أنّ الحياة جميعها إنّما تَسِير وتنتظم بالنواقض من الأمور وأنّها لا يمكن لها أنْ تسير إلّا بهذه التناقضات، فيرى أنّ الخير والشرّ ضروريان ومتلازمان فلا يمكن أن تبقى هذه الحياة بدونهما، فلو انتفى الشرّ من هذه الحياة، لرفعت هذه الحياة رأسها عاليًا وقالت قد تحقّق الكمال فيّ وهذا محال في حقها، ووظيفة الخير ليس القضاء على الشرّ فالشرّ عنصر أساسيّ وضروريّ لهذه الحياة، إنّما وظيفته هو إسكات الشرّ وتنويمه ليبقى الخير مزهرًا مشرقًا في الحياة، ومن هنا جاء عمل المصلحين في الأرض. ومن هذا الخير ومن هذا الشرّ تفرّعت المتناقضات في الحياة، الفرح والحزن، الليل والنهار، النور والظلام، الحبّ والبغض، الموت والحياة. فلا يمكن أن ينفصل أحدهما عن الآخر بل كلّ منهما متولّد من الآخر ووجوده متوقّف على الآخر. فترى الأمر الواحد نفسه متناقضًا ومتوافقًا، فمثل الماء فيه صفة الحياة وهو الارتواء، وفيه صفة الموت وهو الغرق، والماء هو الماء نفسه لا غنى لأحد عنه.

فترى ما كان في الأدب انعكس ظِلّه على الأديب فكان هو، فترى الأديب ذا ثورة متمرّدًا على كل شيئ، فما زال باحثًا مستمرًا في بحثه، متناقضًا في طبعه ومزاجه، يروي الحياة بالجمال والعطاء كما يرويه المطر، وهو فرح كلّه أمل وهو يبحث عن سرّ ونور الله فيما خلق وعن أمله بلقاء الله، وهو حزين غريب عن هذه الحياة الناقصة المكدرة التي لا تروي ظمأ العليل، تزداد غربته عن هذه الحياة فلا أحد يقدِّر جهده ولا يعرف الناس عَوالِمه العميقة، ويزيد من غربته سعي المتسلّطين والمستبدّين في كبح فكره وقلمه الذي يسطع منه النور، حزين غريب لمن يريد له الحياة وهو يريد له الموت.

أهمّ الكتب التي ألّفت في الأدب

ذكر ابن خلدون (808هـ/1406م)، في مقدّمته: "سمعنا من شيوخنا أنّ أصول هذا الفنّ [الأدب] وأركانه أربعة دواوين، وهي: أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرّد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها. (مقدّمة ابن خلدون، 1425هـ، 2/377.) ومع ذلك أريد أن أذكر بعض المصادر المهمّة التي ألّفت في الأدب وهي:

1- **طبقات فحول الشعراء:** لمحمّد بن سلّام بن عبيد الله الجمحي بالولاء، أبو عبد الله (ت. 232هـ/846م)، ذكر فيها العرب وأشعارهم والمشهورين المعروفين من شعرائهم وفرسانهم وأشرافهم وأيامهم، وحظي بين معاصريه بمكانة رفيعة، وكان من كبار علماء عصره.

2- **البيان والتبيين:** لعمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت. 255هـ/869م)، يُنسب إليه دوره المهمّ في وضع وضبط قواعد الكتابة النثرية في اللغة العربية، ويتضمن الكتاب مختارات من الأعمال الأدبية، بما في ذلك الخطب والقصائد والتعليقات والرسائل.

3- **كتاب الحيوان:** للجاحظ، يتضمن الكتاب عالَم الحيوان وطباع الحيوان وأنواعها وفصائلها وأسمائها ومع ذلك تحدث فيه عن العرب، وأحوالهم وعاداتهم وصفوةٍ مختارةٍ من الشعر العربي والأمثال والبيان، ونقد الكلام.

4- **كتاب الكامل:** لمحمد بن يزيد المبرّد، أبي العباس المبرّد. (ت. 285هـ/900) يعدُّ كتابه من أهمِّ كتبه، وأكثرها شيوعًا بين الناس، ويعدُّ هذا الكتاب من أمتع كتب العربية؛ فهو يثقف النفس، ويهذب الروح، ويصقل العقل، ويوسّع الأفق، وينمّي في الإنسان ملكة حبّ المعرفة.

5- **النوادر:** لأبي علي القالي، إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان (ت. 356هـ/967م)، وهو كتاب في نوادر الأخبار والأشعار.

6- **الشعر والشعراء:** لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت. 276هـ/889م)، هذا الكتاب من أهمّ كتب النقد الأدبي التي يُعزى إليها فضل إثارة النقاش حول العديد من القضايا والتي ما تزال إلى اليوم تحظى بعناية النقاد.

7- **الأغاني:** لعلي بن الحسين المعروف بأبي الفرج الأصفهانيّ (ت. 356هـ/967م)، هذا الكتاب من أغنى الموسوعات الأدبية التي أُلّفت في القرن الرابع الهجري، واعتمد عليه كثير من الباحثين والمستشرقين في كتاباتهم.

8- **العقد الفريد:** لأبي عمر، شهاب الدين أحمد بن محمّد بن عبد ربّه الأندلسي (ت. 328هـ/940م)، يعدّ هذا الكتاب من أشهر الكتب في عصر تأليفه إلى هذا الحين؛ إذ يعدّ موسوعة علميّة أدبيّة جمع فيه من الأخبار والأنساب والأمثال والشعر والعروض والموسيقى والنقد والبلاغة، والعادات والتقاليد والأخلاق.

9- **الفهرست:** لأبي الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (ت. 380هـ/990-998م)، وهو أقدم كتاب من الكتب التُّراثية التي أَرّخت لأسماء الكتب وأسماء مؤلّفيها في مختلف العلوم والفنون التي كانت معروفة بين أهل العلم وطلّابه في قرون التأليف الأولى عند المسلمين. وهذا الكتاب لا غنى عنه لأحد من المشتغلين بالعلوم والآداب العربية والإسلامية.

10- **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة:** لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت. 542هـ/1147م)، يعتبر هذا الكتاب من أعلام الكُتَّاب والنُّقاد الأندلسيين في القرنين الخامس والسادس الهجريين.

11- **نفح الطيب:** لشهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت. 1041هـ/1632م) يعدّ أحد أقدم الكتب الأندلسية، وهو موسوعة تاريخية مهمّة في دراسة التاريخ والأدب والجغرافيا. (طاهر أحمد مكّي، (1419هـ)، ص. 154- 365).

الخاتمة

تخيّرنا موضوعنا للحديث عن الأدب لما رأينا ما للأدب من ضرورة إنسانيّة ملحّة، لاسيما في عصرنا الحالي الذي يعجُّ بكثير من التناقضات والصراعات. فالأدب ضرورة تاريخيّة لتسجيل الأحداث والوقائع والاستفادة منها، والأدب ضرورة في تزويد المتأدّبين وغيرهم في تشخيص العلل والمشاكل وطرح الحلول المعنوية والمادية لحلّ تلك المشاكل. فالأدب ليس ضرورة لهذه الأمور وغيرها فحسب، بل ضرورته هو الإنسان نفسه، وما يقدّم للإنسان من نفع لكلّ ذاته ومكوّناته، فكريًا ونفسيًا وروحيًا وجسديًا، وما ينتج عن الإنسان اجتماعيًا وسياسيًا واقتصاديًا وغيرها.

ألا ترى من حديث الأدب عن الحبّ ماذا يصنع بالإنسان! فعندما يتحدّث الأدب عن الحبّ، ويثير مشاعره ويقدح شرره، وما به من لوعة وشجن، وما له من عذوبة وحلاوة، عندها ترى الإنسان قد رقّت نفسه وطربت روحه، وتدفّق عقله وسرح خياله ونشط جسده، ففاض بالحبّ والشوق للإنسانية جمعاء.

والنتيجة: أنّ الأدب ظاهرة إنسانية عامّة، يتحدّث ويقوّم الإنسان الواحد في المجتمع الإنساني الواحد، ليعيش هذا الإنسان الواحد في المجتمع الإنساني الواحد في حبٍّ وجمال ووئام، ذلك أنّ الأدب ينطلق من ذات الإنسان وأنّ الإنسان أخ الإنسان أينما كان وكيفما كان، وأنّ صورة الأدب في الجمال والحبّ والتعاون والتعايش لا يعود نفعه على الإنسان فحسب، بل لكلّ من يعيش معه.

فالأدب ركن أساسي من أركان الحياة، وهو منبر ورائد يحرّك الشعوب والمجتمعات إلى مبتغاها، وأنّه لا غنى للمجتمعات عن الحياة الفاضلة الكريمة، فما سمّي الأدب بالأدب إلّا لأنّه الأدب.

ونتيجة دراستنا أنّنا لخصنا الأدب العربي الكبير والطويل بأوراق قليلة مختصرة - خشية كراهة المطوّلات - وقدّمناه للقارئ للإفهام والإلمام العام، وما قدّمناه من معلومات في بحثنا عن الأدب ليست كافية في معرفة الأدب، بل هي مفاتيح عامّة للتعريف به، وعلى من يهتمّ بالأدب أن يتزوّد من مائه العذب ورحيقه المصفّى.

المصادر والمراجع

ابن خلدون، عبد الرحمن (808هـ/1406م)، **مقدّمة**، المحقّق: عبد الله محمّد الدرويش، 1425هـ، ط.1.، 1425هـ/2004م.

ابن عبد ربّه، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمّد بن عبد ربّه بن حبيب بن حدير بن سالم الأندلسي (ت. 328هـ/940م)، **العقد الفريد**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 1، 1404هـ/1983.

ابن منظور، محمّد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت. 711هـ/1311م.) **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط.3، 1414هـ.، مادة (أدب).

أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، الحنفي (ت. 1094هـ)، **الكلّيّات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، المحقق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. ت.

أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان (ت. 356هـ)، **الأمالي**، عني بوضعه وترتيبه: محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية، ط.2، 1344 هـ - 1926م.

أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت. 1362هـ)، **جواهر الأدب في أدبيّات وإنشاء لغة العرب**، التحقيق: لجنة من الجامعيين، مؤسسة المعارف، بيروت، د.ت.

الأدب العربي وتاريخه للسنة الأولى الثانوية في المعاهد العلمية، وزارة التعليم، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1437هـ.

اسلام الزبون، خصائص الشعر في العصر الحديث، https://mawdoo3.com/2017/10/16 تاريخ تواصلنا معه: 2019/04/07.

البخاري، محمّد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي (ت. 256هـ/870م)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، صحيح البخاري**، تحقيق: محمّد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط. 1، 1422هـ.

بسمة كمال العتيبي، عناصر العمل الأدبي، https://mawdoo3.com،/2016/06/29/، تاريخ تواصلنا معه: 2019/04/07.

بطرس البستاني، **أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام**، مؤسّسة هنداوي القاهرة، ط.1، 2012م.

البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت. 1093هـ)، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط.4، 1418هـ/1997م.

حسن خميس المليجي، **الأدب والنصوص**، عمادة شؤون المكتبات، الرياض، د.ت.

حسين علي الهنداوي، دنيا الوطن، https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2014/01/05/ تاريخ تواصلنا معه: 2019/04/07.

حسين علي محمد حسين (. 1431هـ)، **التحرير الأدبي**، مكتبة العبيكان، الرياض، ط. 5، 1425هـ/2004م.

حنّا الفاخوري، **الجامع في تاريخ الأدب العربي**، دار الجيل، بيروت، ط. 1، 1986.

حورية قايش، **التحليل اللغوي للخطاب الشعري الجزائري في العصر التركي**، رسالة ماجستير، 2007.

الدميري، محمد بن موسى بن عيسى بن علي أبو البقاء، كمال الدين الشافعي (ت. 808هـ)، **حياة الحيوان الكبرى**، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

راتب سكر، **قضايا معرفية ومنهجية في تحديد العصر العثماني وتقويم أدبه**، التراث العربية، د.ت. عدد، 85.

الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، (ت. 1205هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د. ت.

الزوزني، أبو عبد الله حسين بن أحمد، **شرح المعلّقات السبع**، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ط.1، 1425هـ/2004م.

زينب عبد الكريم حمزة، **وصف الطبيعة في الشعر العباسي**، مجلة كلّيّة التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، الجامعة المستنصرية، كلّيّة الآداب، العدد 35، تشرين أوّل، 2017.

شوقي ضيف، أحمد شوقي عبد السلام ضيف (ت. 1426هـ/2005)، **الفنّ ومذاهبه في النثر العربي**، دار المعارف، القاهرة، ط. 13. د.ت.

شوقي ضيف، أحمد شوقي عبد السلام ضيف (ت. 1426هـ/2005)، **تاريخ الأدب العربي**، دار المعارف، مصر، ط.1، 1960هـ/1995م.

طاهر أحمد مكّي، **دراسة في مصادر الأدب**، دار الفكر العربي، القاهرة، ط. 2.، 1419هـ/1999م.

عبد العزيز محمّد عيسى، **الأدب العربي في الأندلس**، مطبعة الاستقامة، القاهرة، د.ت.

علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت. 816هـ/1413م)، **كتاب التعريفات**، تحقيق: ضبطه وصحّحه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 1، 1403هـ/1983م.

فالح نصيف الحجية الكيلاني، **موسوعة شعراء العربية**، د.م.، د.ت.

القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب (ت. 170هـ)، **جمهرة أشعار العرب**، حقّقه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.

محمّد عبد الرحمن شميلة الأهدل، **الشعر في ضوء الشريعة الإسلامية**، الجامعة الإسلامية، 1397هـ/1977م.

محمّد عبد المنعم خفاجي، **دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه**، دار الجيل، بيروت، ط.1.، 1992.

محمّد عبدالله القواسمة، https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2014/01/29 تاريخ تواصلنا معه: 2019/04/07.

مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (ت. 1356هـ/1937م)، **تاريخ آداب العرب**، دار الكتاب العربي، د.ت.

المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت. 1041هـ)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1997.

منال سليم سالم النخّال، **الشعر العربي في القرن التاسع عشر الميلادي/الثالث عشر هجري أغراضه، ظواهره، اتجاهاته، قضاياه**، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 1434هـ/2013م.

ناظم رشيد، **الأدب العربي في العصر العبّاسي**، دار الكتب، كلّيّة الآداب جامعة الموصل، 1410هـ/1979م.